

طرقها الشعراء مند القديم وعادوا إليها يعبون منها ويردون من وردها ، يبتدعون ويتدعون حيناً ويسقطون في مواضع الخواطر القديمة أحياناً ، فليس ثمة ابتكار ولا ابتداع ، كل ذلك وفاق عبقرية الشاعر وتربيته وثقافته وبيئته ، وتبعاً لإخلاصه في القول أو كذبه فيه .

والمهم أن الهجاء فن من فنون الأدب الرفيعة في الأدب العربي قد يعين على تصور الحياة عند الأفراد وفي المجتمع وقد يساعد على تأريخ الحياة العربية حين يصدق الشاعر ، ويحذر المؤرخ في بحثه حين يريد أن يعلم ما كان العربي يستحسن ويستقبح ، وما كان يذم ويقدم ، وأن يتبين ما كان العرب والمسلمون يجدونه من مثالب وما أخذ عند الشعب وعند الحكام ، وهو على ذلك يحوى ألواحاً من الصور تضاف إلى الآداب الإنسانية في القديم والحديث ، فتسغني متحف الهجاء في الأدب العالمي ، وتكسبه روعة لا تقل عن روعة الآداب الأخرى ، إن لم تزد عليها وتبزيها وتسبقها إلى ميادين النبوغ والعبقرية والإلهام .